الفولكلور وقيم المجتمع

لاتحاكم المادة الفولكلورية أو المستوحاة من الأنواع الأثورية محاكمة الحاضر بقيمه وظروفه وانجازاته وتوصلاته الفكرية والتاقنية، فقد كان (هجوم) الهلاليين في السيرة الهلالية والتغريبة (احتلالا) بالمفهوم الحديث وتغيير أي نظام الحكم تم بقتل ملك تونس، الزناتي خليفة، وقيام الهلاليين بحكم البلاد.

وكانت احتفالات بابل بقدوم عشتار من العالم السفلي ترافقها احتفالات صاخبة في العبد، في بابل، ونفر وسائر مدن سومر وأكد، وكان الملك العراقي القديم يحكم باسم الإله والملك الفرعوني هو الإله بعينه وهناك الكثير من التفاصيل والممارسات الدينية المتصلة بالمعتقد وهناك الكثير من الحكايات والسير مما لا يتألف وقيم عصر القرن الحادي والعشرين. لكن كل ذلك لا يعني أن نقف أمامها للتعجب أو نؤيد أو ندين أو نشجع بل أن ندرس ونحلل ونصل الأمور ببعضها ونبحث في تفصيلات الوتيف الفولكلوري وفي اصل الشعيرة الاعتقادية للوصول إلى طبيعة التفكير الإنساني أيامها و(إيقاع) ذلك على الممارسة الاجتماعية أو الفنية، ومن هذا تصبح مهمة الباحث في التراث الشعبي غير قاصرة على إيراد الواقعة بل تحليل سبب قيامها استنادا إلى عصرها والتحولات التي تمت بعد ذلك، وتصبح مهمة الجامع الأولى غير مهمة الدارس والمحلل ومن تعاون الطرفين تنتج المادة الفكرية المرتبطة بالواقعة الفولكلورية مادية أو معروية لتكون جزءاً من المنجز العقلي والروحي للمجتمع الذي تنتمي إليه وللمجتمعات الأخرى، وفي بلاد الرافدين تتناسل التفاصيل الفولكلورية وتزداد عمقاً وكثرة فالعراق بحر عباب من عادات وتقاليد وعمارة وأزياء ومعتقد وفلسفات وحكايات ومنجم من سحر وخير فمتى نشهد يوماً لحق العالي للفولكلور العراقي ليكون كل هذا طوع إرادة الباحثين وفي هذا موضوع آخر.

المحرر

تحولات في اللغة الشعبية
(بين الدعلج والفاديس والسابوح والقفاص والانسة كهرمانة!)

سرت في أسواق اليوم مصطلحات لغوية عامية خاصة انطلقت من الحال التي يمر بها العراق منذ الحرب في عام 1991 حتى دخول النظام المباد معركة آذار 2003 والتي سماها بمعركة (الحواسم) بعد ما عاث في الأرض فساداً طوال أربعين عاما بدأت من شباط 1963 وليس من تموز 1968 عانى فيها العراق وأهله الكثير من الجور والطغيان وأوصلته الى حال احتلال لابد من أن ينتهي يوما.

إن أثر ذلك على لغة اليوم العامية قد توضح بشكل مثير للانتباه فإذا قلت (حواسم) على أية بضاعة فذلك يعني إنها مسروقة ولبضائع (الحواسم) اليوم أسواق في وقت أطلق فيه الأمريكان مصطلح (علي بابا) على الحرامي الذي سرق الدوائر الحكومية والمؤسسات دون إدراك أن السيد (علي بابا) الأصلي في الحكاية الشعبية لم يكن لصاً بل تعاون والأنسة الفاضلة كهرمانة على الإمساك بالأربعين حرامياً الذين أرادوا سرقة السلطان.

وإذا كانت (الحواسم) قد تحولت من مصطلح سياسي إلى لصوصي ضاحك وشاحب، وعلي بابا من إنسان مدافع عن الحق إلى لص، كمصطلح عامي فإن دخول مصطلح (قفاص) بتشديد الفاء على اللغة العامية بمعنى اللص الفهلوي أو (الكلاوجي) الذي يريد إيقاع ضحيته في (قفص) النصبة أو الخدعة، وهو الذي يسرق الكحل من العين قد بدأ منذ استداد تزوير المواد وبيع الغش والسرقة في وضح النهار. ومنذ اثنى عشر عاماً خلت بعدما تغيرت أخلاق السوق بالعمل المنتج قدر علاقتها بالضحك على الذقون والتدليس، وسرت في السوق الشعبي عبارات ومصطلحات جديدة مثل (دعلج) وهي صفة تقال للحرامي الشاطر وأدخلت في الاستعمال الشعبي بعد شيوعها في المسلسل التلفازي العراقي (ذئاب الليل) كتسمية لبطل المسلسل الحرامي في الخاتل.

كما تقال كلمة (مطفي) على الزبون الغشيم، ويصطلح (لقفاصة) إذا رأوا اشارياً جديداً في السوق على الهمس فيما بينهم (زين له) أي (إحلق له) أي لا ترحمه عند البيع وإذا كانت البضاعة المعروضة للبيع مضروبة أو مغشوشة قالوا (مسلكنه) ولهم عبارات أخرى أشهرها (مضروب بوري). وتقال عن السروق في ماله أو الذي غشوا له بضاعته أو سرقوه، و(البوري) هو القضيب العدني الذي يستخدم في تأسيسات المياه ويمتاز بالقوة عند استخدامه في معركة (نضرب بوري) كناية عن (الدوخة) و(التوهان) الذي يصيب الضحية عند ضربه بـ(بوري) تجاري في السوق الذي لم يعد أحد يرحم فيه أحداً إلا من تخلق بأخلاق المهنة القديمة وظل يحترم عمله ويجد الرزق الحلال هو الهدف، أما الذي يريد (يطك - يطق) بسرعة اي يرتفع مادياً دون وازع فإنه يتبع الأساليب غير الأصولية في التعامل التجاري.

وإذا اتفق للمراقب أن يدخل أية سوق تجارية كسوق الإطارات أو السجائر أو الخردة فروش (الحاجيات المتعددة)، واستمع إلى مصطلحات بعض الذين دخلوا السوق للعب على الذقون وجدهم يتأملون الزبون القادم فإذا وجدوه ساذجاً، أو قليل الخبرة قالوا البعضهم "هذا كمش" أي هو مقدور عليه وبالمستطاع امساكه فإن تحقق لهم خداعه قالوا عنه ضاحكين "كمش على التيغة" والمقصود أنه مثل الحمامة التي أمسكت باليد وهي واقفة على حائط السطح (التيغة) لا تدري ما تفعل. وإذا استطاعوا أن يحاصروا ذلك الرجل ويستخلصوا منه بضاعته بثمن بخس أو أن يباع بضاعة بثمن غال وقد تأمل أقل قالوا "انفر ويله" والويل هو دولاب السيارة و"انفر" أي دار أي تغير تجاهه وإذا وجدوه مفلسا قالوا "داوي" مثل بناء منهار.

إن هذه اللغة الجديدة في الحديث اليومي غدت لغة محكية تختلف عن اللغات السرية التي استخدمها أصحاب الطوائف والمهن الواحدة، فيما بينهم للتفاهم دون أن يعرف الآخرون ما يقولون، فقد اتفق موسيقيو الإذاعة من العميان على لغة خاصة فيما بينهم كانت مفهومة ولا تزال لمن احتك بهم من الموسيقيين واللحنين والمطربين، حيث اعتاد الناس دعوة هؤلاء للعزف في حفلاتهم الخاصة واهم ما يهتم به هؤلاء هي اجورهم وكميتها ونوعية الطعام التي ستقدم لهم فيطلقون على النقود كلمة (بتوك) فإذا عرفوا أنهم لن يحصلوا على (البتوك) بعد الحفلة حزنوا وقالوا (قول علا) أي إنهم سيخرجون صفر اليدين، وإذا عرف أحدهم نوعية الطعام الذي سيقدم وكان سمكاً مثلاً قال (الليلة ناكل سابوح) أما إذا كان دجاجاً فهو (باحوث). أما إذا كان اللحم لحم غنم أو سواد فهو لحم (ناطوح) عندهم، ويسمون صاحب الحفلة (الفاديس) وهذه التسمية خاصة بالمدير العام للاذاعة لكنها تشمل صاحب الحفلة والفاديس باللغة الموسيقية تعني الصوت الأعلى، ومن الغريب أن الصوت الأعلى في أمانة العاصمة قديماً زمن سمير الشيخلي كان يدعى بكلمة أخرى فإذا سمع اي قسم من أمانة بغداد أمينها سمير قادم صاح في أجهزة السماع "غارة.. غارة" إشارة إلى قدوم الأمين المؤذي. ولان لفظ الغارة قد اتصل بالحرب التي كانت قائمة انذاك بيننا وبين الجيران في إيران، وللحلاقين والقصابين وأصحاب المهن الأخرى مصطلحاتهم ولغاتهم الخاصة كذلك.

يونغ وادلر وفرويد وصور القراءة

الحكاية ونظريات الدرس

باسم عبد الحميد حمودي

تنتهي الحكاية الخرافية عموماً نهاية سعيدة بعد تصويرها لطول معاناة البطل والشاق التي صادفها. ويعلل بعض الدارسين سبب ذلك بكونه كامناً في أن الراوي الشعبي لابد له أن يصنع الصورة المثالية للبطل الذي يستطيع تحقيق ما أراده في عالم الخيال، وهو أمر لم يستطع تحقيقه السامع الشعبي واقعاً، إن ذلك يشكل نوعاً من التعويض النفسي لديه، إلا أن ذلك ليس فصل القول في تبديل توجهات النص داخل الحكاية الخرافية ذلك أن دراستها تخضع لمحاورات عدة مناهج أبرزها المدرسة الاسطورية والمدرسة النفسية. وقد حاولت المدرسة الأسطورية أن تدرس العلاقة الوثيقة بين الأسطورة والحكاية الخرافية، باعتبار أن الحكاية الخرافية من وجهة نظر هذه المدرسة ليست سوى بقايا معتقدات اسطورية قديمة.

من هنا أخذت هذه المدرسة تشرح وتعلل علاقة بطل الحكاية الخرافية بالنبات والحيوان والجماد، على أساس أن عملية التشخيص التي ينظر بها الإنسان إلى النبات / الحيوان / الجماد / ليست سوى بقايا آثار الطوطمية والفيتشية ومن رواد المدرسة الاسطورية تايلر ولانغ. وقد خفت تأثير هذه المدرسة لدى الدارسين في علم الحكاية بصفور مدرسة أخرى هي المدرس النفسية.

وتعتمد هذه المدرسة تفسير الخرافة الشعبية ورموز التراث الشعبي الأخرى على الدراسات النفسية، وقد قلنا "الدراسات، ولم نقل "التحليل النفسي" لأن هذا الفرع الذي يمثله فرويد يعد جزءاً من المدرسة النفسية بفروعها الثلاثة: التحليل، وعلم النفس التركيبي ليونغ، وعلم النفس الفردي لأدلر.

لقد أدت مدرسة يونغ المثالة لعلم النفس التركيبي دورها الأكبر في حقل دراسة الثقافة الشعبية، ذلك أن اهتمام علماء هذه المدرسة أساساً نابع من اشتغالهم بالدراسات الفولكلورية، بل أن هذا الاهتمام قد نشأ نتيجة تطور نظريات علم النفس عينه. إذ توسع يونغ في مجال علم النفس بحيث شمل الحياة الإنسانية عامة وخرج من ذلك بنظريته في علم النفس لحضاري.

لقد اعتبر يونغ اللاشعور مشكلاً للقوة الدافعة التي تثير القدرة على التخيل، وهي التي تنظمها على نحو ما يظهر في اشكال التعبير الشعبي، وهي التي تقف وراء اشكال السلوك البشري في حياة الفرد.

اللاشعور إذن يتكون عند مدرسة علم النفس التركيبي من عنصرين، فردي وجمعي، والعنصر الجمعي هو الذي يهم الحياة العامة ويدخل في تفاصيلها، وقد استعان يونغ بالخرافة الشعبية التي تعتمد قوة الخيال الاجتماعي المتوارث وطموحات المجتمع القديم الخبوءة واستعان بالأحلام لقيامه بالتحليلات اللازمة داخل قيم مدرسته ومنهجها.

لقد قاد علم التراث الشعبي علم النفس للبحث داخله لما تمتلكه أقاصيصه القولية الصياغية من ثراء في الخيال وفي البناء الدرامي، كما قاد علماء الالسنيات مثل شتراوس إلى دراسته ودخل عليه علماء الانثروبولوجيا وهم يبحثون في عادات وتقاليد الشعوب.

إن بناء الحكاية الخرافية يظل في حلقته الأساس يعمل على إيصال البطل إلى صورة الحياة الكاملة الجميلة التي يحلم بها السامع ويستخدم الراوي خلالها السحر أحياناً في سبيل تحقيق هذا الهدف وهو يصنع الإنسان في صراع مع ذاته ومع امنياته وتطلعاته بعد طول معاناة مثل شخصية قمر الزمان وشخصية السندباد لكن بعضهم لا يستطيع تحقيق سعادته المثلى مثل ملكياوس الذي يحول كل ما يمسكه إلى ذهب لكن كل هذا النماذج تسعى نحو تحقيق شخصية الإنسان المثلى في عالم الصراع الذي تخوضه من أجل تحقيق أهدافها سلباً أو إيجابا.

إن الحكايات الشعبية تختلف عن الحكايات الخرافية فكل رمز في الحكاية الخرافية له مغزى بحد ذاته، وهو يسهم مع الرموز الأخرى في إبراز المغزى النفسي الكبير للحكاية، أما الحكاية الشعبية فهي تحتوي على ذلك الرمز الكبير الذي تتضافر من حوله كل عناصر الحكاية لإبراز مغزاه، وفي ذلك تقول د. نبيلة إبراهيم في كتابها "قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية ما نصه: "إن قيمة الحكاية عندئذ تتوقف على مدى نجاح هذا الرمز الكبير في إبراز هدف الحكاية الشعبية، وهذا الرمز الكبير هو ما يسميه البلاغيون: التشبيه التمثيلي، وهذا الرمز مثل صاحب الصنابير الذي جلس بالقرب من قصر كبير ليطلع كل إنسان على ما يأتي به صنبوره، أي يطلعه على حظه في الحياة، وعندما جرب الرجل صنبوره هو وحده وجده قد سد وكف الماء أن ينسكب منه ولهذا توفي الرجل في النهاية".

إن هذا التشبيه العملي الذي أورده د. إبراهيم قد يبدو غير ملائم تماماً لوصف فروق موقع الرمز في الحكايتين ولكنه يدل على موقف درامي فاجع تأسه الحكاية الشعبية وقد لا تحويه الحكاية الخرافية.

إن إنسان الحكاية الشعبية يميل إلى تجسيد الظواهر المعنوية، كما يميل إلى تجسيد حكمه وأمثاله التي توارثها، فإذا كان قد ورث الحكمة القائلة "إعمل الحسن وارمه بالشط" فهو يجسد هذه الحكمة ويحكي حكاية عن شاب نصحه والده أن يعمل بهذه الحكمة. فعمل بها ونجح في حياته. وهو بذلك يغري السامع أو المتلقي على اتباع هذا السلوك المتعلق بالفضائل. وإذا كانت لحكاية الخرافية تسير على وفق نظام أحداث متسلسل واحد تقريباً، فإننا نجد أن الحكاية الشعبية تتميز بتأليفها المعقد المتنوع الذي لا يمكن تقليده، فقد بدأت حكاية شعبية بمثل يقول "من جاور السعيد يسعد" لكنها انتهت بنهاية تعاكس هذا المثل لذلك فهي لا تعتمد على قاعدة أخلاقية أو فضائلية ثابتة.

إن الحكاية الشعبية توضح أيضاً قدرة الراوي على استخدام التورية والكناية، بحيث يغدو السرد الشعبي (الكلام المنطوق هنا والمدون فيما بعد) على شكل الغاز، فقد تقابل كهل مع شاب في طريق طويلة، فقال الشاب للكهل: أتحملني أم أحملك؟ فاستغرب الكهل ذلك، وكان الشاب يعني: أتقص علي أم أقص عليك؟، وهناك من يروي هذه الحكاية على هيئة علاقة شن بطبقة المعروفة، وكان كل ما دار في الحكايتين مجموعة أمثال والغاز يعرفها الشاب ولا يعرفها الكهل حتى وصلا إلى حل اوضح كل شيء حيث انتهت الحكاية نهايتها السعيدة المعروفة.

أخيراً أيمكن القول أن الحكايات الشعبية بكل ألوانها وأشكالها جزء من ثراء الشعب الفكري وانعكاس لهذا التلوين الغزير على حضارته المثقلة بثقافة واسعة ومتنوعة وهي حكايات تفيد القارئ العادي وعالم النفس وعالم اللغة وعالم الاجتماع والباحث في المثل الشعبي بقدر ما تمنح من تسلية وعبرة.

الكاما سوترا

هذا العمل الفولكلوري الوصفي
لحكائي يعد في الهند من كلاسيكيات
الحكمة في الفن والحب والعشق
الجسدي وقد كتب في القرن الثالث الميلادي كأجمل عمل في الحب في الادبيات الهندية لكنه لا يخضع لزمن محدد وانما هو كيان نصي مفتوح يعلمنا ان الحب عالم يمتلك سعادته الخاصة التي لا يفك اسرارها غير طرفي المعادلة (العاشق- المعشوق) قام السر ريتشارد بيرتون وف. ار بيثنوت بترجمتها الى الانكليزية وصدرت طبعتها السادسة عام (1999) عن دار هاربر كولنز في لندن.

اقتصاد شعبي وعادات

شجرة اللبان في سلطنة عمان

ينبت شجر اللبان في محافظة ظفار التي تقع إلى جنوب سلطنة عمان وهي منطقة تتأثر بالرياح الوسمية الجنوبية الغربية في فصل الخريف وذلك يوفر مناخاً ملائماً لنمو هذه النبتة ولهذا اشتهرت هذه المنطقة بانتاج أفضل أنواع اللبان حيث تبدأ عملية جمع اللبان في شهر نيسان من كل عام وتستمر لمدة ثلاثة أشهر وقد تستمر مدة أطول حسب عطاء الشجرة، وتعطي الشجرة الواحدة عشرة كيلوغرامات تقريباً كل عام وتراقب الأساطير والمعتقدات الشعبية أشجار اللبان هناك من يعتقد أن العائلات التي تملك أشجار اللبان كان لديها الحرس الذين يساعدون العائلة في حماية أشجارها وهي عبارة عن ثعابين صغيرة ذات أجنحة تطير بين الأشجار وتوجه ومضات من نار على من يحاول الاعتداء على أشجار اللبان، وتنحصر وراثة أشجار اللبان في ذكور العائلة حتى لا تنتقل ملكيتها خارج الأسرة والقبيلة وتعوض المرأة المتزوجة من رجل خارج اسرتها بالمال والماشية.

ويستخدم اللبان في العلاج الشعبي لعدد من الأمراض مثل آلام البطن والأسنان ويبخر به النفساء وطفلها في الأيام العشرة الأولى على الولادة ويستخدم اللبان في طقوس العزاء في مجلس الفاتحة

زهرة عمر
وأسطورة الخلق الشركسية

استلهمت الكاتبة الراحلة زهرة عمر من أساطير الشركس، قومها الذين انطلقوا قبل أكثر من مائة عام إلى الشرق، ميثولوجيا أجداد صاغتها برهافة حس عبر محاورة تلك الأمكنة التجذرة في اللا وعي الجمعي عبر روايات لجدات للأحفاد.

لقد أعادت زهرة تكوين أسطورة بطلتها الشركسية (سنتاي) التي ولدت دون دنس محاكية بذلك ولادة السيد المسيح، وأعادت سنتاي الأم ابنها للقدس إلى الحياة في صورة تحاكي أسطورة تموز الذي قطفت أوصاله فأعادته حبيبته عشتار إلى الحياة. وهذه صورة تتماثل مع أسطورة النماء البابلية لكن فعل زهرة عمر في (الخروج من سوسروقه) إنها جمعت أبطال السيرة الشركسية عبر سلالاتهم المتصلة، وهم يغذون السير وسط الجبال والرياح، بعيداً عن وطنهم، متحملين الشدائد بشجاعة الفرسان، ليصلوا أرضاً جديدة هي أرض كنعان، ويحلوا فيها، ليصنعوا حضارة جديدة، تتعايش مع بداءة السكان وتحاربهم وتصادفهم معاً، ليبنوا أرضاً مشتركة حافلة بالنماء.

محلة
صبابيغ الال وما جاورها

الباحث رفعة الصفار من الدارسين الرموقين لعمارة بغداد وتاريخها الشعبي وقد درس في هذا الكتاب تفاصيل الحملة البغدادية (صبابيغ الال) في جوانبها العمارية والاقتصادية والاجتماعية والحرفية والثقافية وعرف بابرز شخصياتها في هذه المجلات ويعد هذا الكتيب بهذا مرجعاً من مراجع الدراسة البغدادية وقد صدر عام (1998) بـ(64) ص على نفقة الكاتب!. عن مطبعة الديواني ببغداد.

زهيريات دارين

هذه الرواية لسلطان بن امان البنعلي وهي من جمع وتحقيق علي الناعي
وسلطان البنعلي احد اشهر رواة الموال في منطقة الخليج العربي من منطقة دارين في السعودية والتي كانت من الراكز الهامة في حقبة الغوص على اللؤلؤ والكتاب الذي جمع نصوصه وحققه علي شبيب الخزاعي يحتوي -عبر نصوصه- على تصوير حياة الغوص ومعاناة الغواصين وافراحهم ومآسيهم عاكساً صورة شعرية وثائقية لتلك الحياة عبر الزهيريات التي يرويها راوية دارين، سلطان بن امان، اصدر الكتاب مركز التراث الشعبي لدول